جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

العلاقة بين المربيات والامهات

توعية المربيات بدور الامهات

عبدالله ايت الخيار

الرياض

1408 هـ - 1988 م

العلاقة بين المربيات والأمهات
توعية المربيات بدور الأمهات

عبدالله آيت الخيار

المقدمـــــــة:

يحيلنا موضوع العلاقة بين المربيات والأمهات مباشرة الى موضوع العلاقة بين الروضة والأسرة، أي العلاقة بين خلية فطرية وطبيعية، تشبع الدوافع الأولى لدى الطفل للاجتماع وهي الأسرة، وبين خلية اجتماعية تواضع الناس على انشائها، استجابة لمقتضيات تقسيم العمل الجديد في المجتمع، وسيرورة التصنيع وظهور العمل كأهم قيمة انتاجية بالنسبة للجنسين، وهي مؤسسة الروضة، فنتيجة تشغيل المرأة ونتيجة التراكم المعرفي والتربوي، ونتيجة معطيات النظريات التربوية الحديثة أصبحت الروضة شيئا فشيئا إحدى المؤسسات الضرورية في حياة الانسان المعاصر، وتتلخص وظيفتها في تقديم خدمات تربوية للأبناء في مرحلة الطفولة المبكرة ورعايتهم نفسياً واجتماعياً.

واذا علمنا مدى أهمية هذه المرحلة (الطفولة المبكرة) في حياة الفرد المستقبلية بحيث ان شخصيته سوف تتحدد من خلال نمط التربية الذي سوف يتلقاه في السنوات الست الأولى، سندرك أيضا الأهمية المركزية التي لهذه المؤسسة (الروضة) وخطورة الدور المنوط بها في تشكيل ملامح رجل المستقبل، وكمثال على ذلك نورد وجهة نظر «بلوم» الذي يعتقد ـ استنادا على عدة دراسات ـ أن النمو العقلي للفرد في مراحله المختلفة يتطور على الوجه الآتي:

فيما يتعلق بالمستوى العام للذكاء الذي يصل اليه الفرد في سن سبعة عشر عاما يتكون نحو ٥٠٪ من الذكاء بشكل ثابت في س ٤ و ٣٠٪ بعد ذلك بين سن ٤ و ٨ والـ ٢٠٪ الباقية بين سن ٨ و ١٧، وبالتوازي مع هذا يبدو أن الحياة المدرسية تتحدد في مرحلة مبكرة من الحياة ويضيف بلوم الى ذلك أنه عندما يبدأ الطفل السنة الأولى من المدرسة الابتدائية فإن ٣٣٪ من مقدار تحصيله المدرسي يتقرر بالفعل[1].

ولكن رغم ما يترتب على كل ذلك من تدعيم الأهمية التكوينية للروضة فإنه مع ذلك يجب ألاّ يغيب عن بالنا

---

١ ـ دي لاندشير. مستقبل التربية. العدد الرابع ١٩٧٧م. ص: ٤٦.

أن الروضة تقوم بوظيفة أوكلتها لها الأسرة، أضف الى ذلك أن الأسرة تتقاسم مع الروضة تلك الوظيفة خصوصا أن الطفل لا يقضي بالروضة سوى ٣٠٪ تقريباً من ساعات استيقاظه، ومن هنا ـ تأتي أهمية طرح مشكلة العلاقة بين الأم والمربية.

ونسجل في البداية أن الطفل حينما يتواجد بالروضة يعيش وضعية «اقتلاع» Trans plantation لأنه نقل من بيئته المحلية الأسرية ليوضع في بيئة جديدة، إنه فصل عن أمه ليوضع تحت رعاية حاضنة أو مربية، وسيكون الأمر بالنسبة له كفطام من الدرجة الثانية، ولا يمكن تجاهل الشعور الوجداني للطفل الذي يتعرض لعنف عملية اعادة زرعه في بيئة أخرى، ونضيف الى ذلك أيضا أن عدم التنسيق والتعاون بين الأم والمربية قد تنتج عنه عواقب وخيمة على التوازن السيكولوجي للطفل، لأنه يعيش نوعا من الازدواجية، فهو عندما يكون في البيت سيكون في «جماعة الانتماء»، ولكنه سوف يكون متعلقا «بالجماعة المرجعية» وهي الروضة، وحينما يكون بالروضة تصبح هذه الأخيرة بمثابة «جماعة الانتماء» ولكنه يبقى عالقا «بالجماعة المرجعية» وهي ـ هنا ـ البيت والأم، ومن شأن تعميق الهوة بين الجماعتين الديناميتين أن يؤدي الى تفكك العلاقة بين الأم والمربية، وربما أيضا الى تناقض في العملية التربوية التنشيئية التي يقومان بها.

فمثلا. قد تعمل المربية في الروضة على تنمية القدرات الادراكية والذهنية والحسية ـ الحركية للطفل، بينما نجد الأم تركز في تعاملها مع طفلها على الجوانب الوجدانية والعاطفية، ومن شأن ذلك أن يؤدي الى توزع سيكولوجي لدى الطفل لأنه سيلتمس لدى الأم الحنان والدفء والعاطفة الجياشة، بينما سيلتمس لدى المربية ملكات الاكتشاف والمعرفة والادراك العقلي.

الا أن هذه الازدواجية ستصبح عنيفة حينما سيشعر الطفل بأنه أمام ازدواجية الأم: فمن جهة هناك الأم البيولوجية، وهو امتداد لها (الطبيعة) ومن جهة أخرى هناك أم مؤسسية، مفروضة عليه (الثقافة) وربما أدى ذلك الى ظهور نوع من الهوام Fautaswe لدى الطفل بحيث يعيش صورا تتراءى له فيها الأم البيولوجية وكأنها تحل محل الأم المؤسسية، والأم المؤسسية كأنها تحل محل الأم البيولوجية، كما قد يتراءى له أن زمرة أطفال الروضة هم أخوة له[1].

---

١ ـ وهذا هو الذي يدعى بمكانيزم التحويل Transfert في التحليل النفسي ، ويقصد به انتقال مشاعر الشخص أثناء التحليل من المواقف أو الأشخاص التي ابتعثتها أصلا الى شخص المحلل نفسه وترمي هذه المقاربة التحليل ـ نفسية لمشاعر الطفل في مرحلة الروضة الى توعية المربية بأهمية لا شعور الأطفال في التأثير على سلوكهم.

ولانقاذ الطفل من سلبية هذه الصور النفسية الشعورية واللاشعورية يجب أن تتحقق بعض المتطلبات للتخفيف من عنف تلك الازدواجية، وذلك التناقض بين الأم والمربية، وفي هذا الاطار يجب أن يكون هناك تكافؤ وتكامل بين الأم والمربية.

١ ـ **التكافؤ**: وذلك للحيلولة دون ميل الطفل الى تصديق المربية فقط (فهي المصدر الوحيد للمعرفة والحقيقة بالنسبة للطفل، اذ غالبا ما يواجه الطفل امه عندما تعلمه شيئا ما قائلا: «إن المربية لم تقل لنا ذلك، وهذه حجته في رفض المعرفة التي تقدمها له أمه» والحيلولة أيضا دون شعور الطفل بأن أمه هي فقط الوحيدة التي تمنحه العطف والحنان وأن المربية عاجزة عن تقديم ذلك له.

اذن فالمقصود بالتكافؤ هو أن يكون هناك توازن بين المربية والأم بحيث تكون المربية مصدر الحنان والعطف بالنسبة للطفل كما تصبح الأم مصدر المعرفة والحقيقة أيضا الى جانب كونها مصدرا للحنان، وبذلك تستطيع المربية أن تعوض دور الأم في الروض كما تستطيع أن تسترجع دورها حينما يكون طفلها بالبيت.

٢ ـ **التكامل**: والمقصود بالتكامل أن يكون هناك تنسيق وتعاون وحوار مستمر بين الأم والمربية وذلك لتجاوز بعض التناقضات بين أشكال التربية في الأسرة والتربية في الروضة.

ولن يتحقق هذا الهدف إلاّ عبر الوسائل التالية:

أ ـ حوار مباشر بين الأمهات والمربيات يكون على شكل اجتماع مرة واحدة على الأقل في الشهر (نوادي الأمهات) وذلك من أجل بحث مدى توفر الطفل على الحاجيات الأساسية أولا من تغذية وكساء، واستقرار عائلي، ثم محاولة تشخيص المشاكل التي يعاني منها الطفل، والعوائق التي تقف أمام نموه السليم خصوصا أن المربية تصادف في بعض الأحيان حالات خاصة من الأطفال كحالة الطفل ـ المشكلة مثلا: كالطفل المتخلف، أو الطفل المتفوق جداً، أو الطفل الرافض أو المشاغب، وغير المندمج.

كما أن من فوائد الحوار تقوية قيم الحياة الأسرية في الروضة وتقليص لائحة القواعد المؤسسية فيها، وجعلها تعوض بعض ما ينقص الطفل في حياته الأسرية.

كما أن من شأن الحوار أن يؤدي الى توفير بيئة مشابهة لبيئة المنزل داخل الروضة بحيث ينبغي على الروضة ألاّ تلغي دور الأسرة، ثم يمكن للحوار بين الأم والمربية أن يتركز حول اي نوع من الرعاية تريده الأم لابنها والمتاح ـ فعلاً ـ من هذه الرعاية، وبذلك تخدم الروضة أهداف الأم بدل أن تتعارض معها.

ب ـ تبادل التأثير الايجابي بين الأم والمربية، بمعنى أن العبء كله لن يكون على عاتق المربية وحدها، فتستجيب لرغبات الأم فقط، بل على المربية أيضا أن تنصح الأم بمحاولة تعزيز وتدعيم داخل البيت البرامج المقدمة للطفل في الروضة، وعدم إطفائها، وفي هذا الاطار يمكن للمربية أن تساهم في توعية الأم ـ خصوصا غير المتعلمة ـ بأهمية المرحلة التي يمر بها طفلها، وخصوصيتها العضوية والفسيولوجية والعاطفية ـ الوجدانية والذهنية ـ الادراكية، وتفاعل تلك الجوانب كلها مع البيئة، وماتقتضيه من متطلبات لأجل ضمان نمو متوازن.

جـ ـ مشاركة الأم في الأنشطة والبرامج داخل الروضة، مثلا يمكن للأم أن تحضر حصة لعب الأطفال في الروضة، وأن تشارك فيها خصوصا أن تلك اللعبة سيمارسها الطفل في المنزل، وأن مشاركة الأم من شأنها أن تساعد الطفل على التفتح والتعبير عن نفسة أكثر، كما أن من شأنها أن تشجع وتعزز دور الطفل في جماعة الأطفال وبذلك يتحرر الطفل من عقدة الخجل، ويصبح فعالا في إطار دينامية الجماعة، بحيث يقترخ لعبة ما أو يبادر باتخاذ موقف معين أو يقوم بدور قيادة لعبة ما.

إن أغلب الأمهات يعتقدن ـ نتيجة ضغوط العمل خارج البيت ـ أن وظيفة الروضة تتلخص في حراسة الطفل أثناء غياب الأم، وبالتالي فإنهن لا يعرن أي اهتمام للبرامج والأنشطة التي تقدمها المربية في الروضة على اعتبار أنها مجرد تسلية للطفل، في انتظار عودته الى المنزل، كما أن هناك أسرا أخرى تبالغ في مراقبة أنشطة الروضة بحيث تصل لدرجة أنها تفرض على المربيات في الروضة تعليم أطفال ما دون السادسة القراءة والكتابة، ثم المطالبة بتقليص حصص اللعب والأناشيد وتعويضها بدروس منظمة كما هو عليه الأمر في التعليم الابتدائي.

واذا كان ذلك يدل على رغبة الأم والأب السريعة في رؤية ابنهما يتعلم قراءة أو كتابة جمل ما، فإنه يدل في الوقت نفسه على انعدام الوعي البيدانوجي والتربوي لديهما وانعدام الاحساس بخصوصية مرحلة ما قبل التعليم المدرسي لدى الأطفال، وبمتطلبات النمو النفسي والجسمي والعقلي لهذه المرحلة، ويمكن للحوار والتعاون بين المربية في الروضة والأم أن يساهما في توعية الأمهات بالفروق الدقيقة بين خصوصية نمو الطفل في مرحلة ما قبل سن السادسة وما بعدها، وبالتالي فمن الخطأ مطالبة الطفل باتقان مهارات داخل الروضة، تنتمي لمرحلة ما بعد الطفولة المبكرة، كالقراءة والكتابة مثلا، وينتج

عن ذلك أن ادماج برامج المدرسة الابتدائية في الروضة من شأنه أن تكون له نتائج سلبية حتى بالنسبة للمستقبل الدراسي للطفل، فعلى المربية اذن ان تساهم في توعية الأمهات بخصوصية مرحلة الروضة التي تتطلب أساساً وبالدرجة الأولى الرعاية الصحية والنفسية المتوازنة للطفل وذلك بمساعدته على اتقان مهارات حسية ـ حركية، ودفعه لتنمية خياله وابتكاراته بواسطة اللعب ومساعدته أيضا على تنمية أناه الاجتماعي بدمجه في زمرة الأطفال وجعله يلعب أدوارا في اطار دينامية جماعة الأطفال.

وهكذا يصبح دور المربية ـ في المجتمعات المتخلفة حيث نسبة الأمية لا تزال عالية في صفوف الأمهات ـ مزدوجا: إنها تقوم بتربية الطفل داخل الروضة ولكنها تضطر الى إعادة تربية الأم أيضا باعتبارها تتقاسم معها تربية وتنشئة ذلك الطفل، ولكي تقوم المربية بأداء هذه المهام النبيلة والمضنية ينبغي فتح مؤسسات لتكوين المربيات في رياض الأطفال على غرار مؤسسات تكوين المعلمين والأساتذة، وذلك لرفع المستوى العلمي والتكويني للمربيات في مجال علوم التربية بصفة عامة.

وفي الأخير.. وتأكيداً لأهمية مرحلة الطفولة المبكرة في تكوين الملامح الخاصة للشخصية السوية والملتزمة والخلاقة مستقبلا، أورد هذه الحكاية التي يرويها «دي لاندشير» نفسه[1]: بعد اطلاق «سبوتنيك١» في الفضاء، أصيبت الولايات المتحدة بنوع من الصدمة مما جعلها تستميت في السعي وراء أحياء روح الابداع العلمي وكان «دي لاند شير» يقوم آنذاك بمسح واسع للتعليم في الولايات المتحدة، وطلب منه أن يتقدم ببعض الاقتراحات لاصلاح النظام التعليمي الأمريكي والتي من شأنها أن تساعد على تجاوز الأزمة، ولقد اندهش القوم حينما لاحظوا أن هذا الباحث لم يقترح زيادة الحصص المقررة بالثانويات أو الجامعات أو وضع برامج متطورة أو اتباع أساليب بيداغوجية جديدة، وانما كل ما اقترحه هو تطوير دور الحضانة وفتح أبوابها لجميع الناس على حد سواء فقراء وأغنياء[2]، لقد كان «دي لاندشير» يعتقد اذن أن تكوين رائد الفضاء لا يتم في الجامعات ولكن يتم تكوينه أولاً في رياض الأطفال.

---

١ ـ باحث تربوي بجامعة ليبج حيث يتولى ادارة معمل علم النفس التجريبي ورئاسة معهد التربية وعلم النفس.

٢ ـ دي لاند شير: التعليم قبل المدرسي في البلاد النامية. مجلة «مستقبل التربية». اليونسكو. العدد الرابع ١٩٧٧م. ص: ٥١.